مجلة متيجة للدراسات الإنسانية
المجلد 11 العدد 01 الشهر 6 السنة 2024 ISSN: 2602-5639 - EISSN: 2830-8972

مظاهر التواصل الحضاري بين عدوتي المغرب الأوسط والاندلسبين القرنين الخامس والسادس الهجريين/11-12م

(انشاء المدن والنشاط الاقتصادي أنموذجا)

Manifestations of Civilizational Communication Between Central Maghreb and al-Andalus During the 5th-6th Centuries AH / 11th-12th Centuries CE

(City Foundation and Economic Activity as a Model)

أستاذ التعليم العالي ، مراد تجنانت
Pr. Mourad Tadjenant
جامعة لونيسي علي – البليدة 2 –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية " الأمير خالد الجزائري"
قسم التاريخ وعلم المكتبات
m.tadjenant@univ-blida2.dz

الملخص باللغة العربية

كان القرب الجغرافي بين عدوتي المغرب الأوسط والاندلس عاملا أساسيا في توثيق عرى الاندماج الحضاري في مختلف المجالات الاجتماعية و العلمية و الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس، سنحاول في هذه الأسطر رسم صورة عن هذه العلاقات وتأثيراتها الإيجابية على المغرب الأوسط في مجال انشاء بعض المدن و المراسي و المساهمة في تنشيط الفلاحة و الصناعة و التجارة ؛ واخترت لهذه المداخلة عنوان: مظاهر التواصل الحضاري بين عدوتي المغرب الأوسط والاندلس بين القرنين الخامس والسادس الهجريين/11-12م (انشاء المدن والنشاط الاقتصادي أنموذجا)، ذاكرا مختلف التعبير التي وظفها الجغرافيون و الرحالة لإبراز القرب الجغرافي والاندماج الاقتصادي الذي ربط الضفتين و أهمها كلمات العدوة و الفرضة ، و أفعال يقابل و يوازي

تأكد في الأخير أن الأندلسيين أعادوا بناء بعض المدن واستقروا فيها ولا شك أن تجربتهم في مختلف الحرف والمهن والنشاط الفلاحي قد استفاد منها سكان المحليون في المدن وفحوصها منذ القرون الأولى التي تبعت الفتح الإسلام لبلاد الأندلس.

شكلت ضفة بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة مع العدوة الأندلسية منطقة تجارية نشيطة أشبه بالمناطق التجارية الحرة في وقتنا الحاضر.

الكلمات المفتاحية: التواصل الحضاري، المغرب الأوسط، الأندلس، إنشاء المدن، النشاط الاقتصادي

Abstract:

"Manifestations of Civilizational Communication Between Central Maghreb and al-Andalus During the 5th-6th Centuries AH / 11th-12th Centuries CE: City Foundation and Economic Activity as Models"

The geographical proximity between Central Maghreb (al-Maghrib al-Awsaṭ) and al-Andalus constituted a fundamental factor in strengthening civilizational integration bonds across social, scientific, intellectual, and cultural domains. This study delineates these relationships and their positive impacts on Central Maghreb, particularly in city establishment, port development, and revitalizing agriculture, industry, and commerce.

Geographers and travelers employed specific terminology to highlight this proximity and economic integration, most notably "al-ʿudwa" (territorial vicinity), "al-farḍa" (maritime passage), and verbs such as "yuqābilu" (faces/opposes) and "yuwāzī" (corresponds/balances).

It is ultimately confirmed that Andalusians rebuilt certain cities and settled therein, their expertise in diverse crafts, professions, and agricultural activities undoubtedly benefiting local populations in urban centers and their hinterlands (fuḥūṣihā) from earliest centuries post-Islamic conquest of al-Andalus.

Central Maghreb's coastline, alongside its Andalusian counterpart, formed a vibrant commercial zone akin to contemporary free trade areas.

Keywords: Civilizational Communication, Central Maghreb, al-Andalus, City Foundation, Economic Activity

مقدمة

كان القرب الجغرافي بين عدوتي المغرب الأوسط والاندلس عاملا أساسيا في توثيق عرى الاندماج الحضاري في مختلف المجالات الاجتماعية و العلمية و الفكرية والثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس، سنحاول في هذه الأسطر رسم صورة عن هذه العلاقات وتأثيراتها الإيجابية على المغرب الأوسط رغم قلة المعلومات الدقيقة والمفصلة في النصوص المصدرية التاريخية والجغرافية عن البضائع التي كانت متداولة بين العدوتين وأعلام التجار والتأثير الاقتصادي للأندلسيين على المغرب الأوسط خاصة و الغرب الإسلامي خلال الفترة قيد الدراسة، مقارنة بغناها منذ مطلع القرن الثاني عشر هجري/16م مع رحالة منهم الحسن الوزان و ما أُلِف في العصر الحديث العثماني[1]،أما البحوث المعاصرة فهي تتجه أكثر الى الجوانب الحضارية العلمية و الثقافية والعمرانية بالخصوص خاصة في ما تعلق بتاريخ الجزائر الحديث.

[1] -Dominique Valérian:La diaspora andalouse et le commerce des ports maghrébins (XIe-XVe siècle)The Andalusian Diaspora and the Trade in the Maghreb Ports (11th-15th centuries)La diáspora andaluza y el comercio en los puertos maghrebíes,vue le 18-02-2024,https://doi.org/10.4000/framespa.2939G

يأتي في مقدمة المصادر المعتمدة في هذه المداخلة كتاب المسالك والممالك للرحالة أبي عبيد البكري(ت487هـ/1094م) الذي عاش في القرن الخامس الهجري/11م، الذيدون معلوماته من خلال مشاهداته وما نقله عن الرحالة والجغرافيين الذين سبقوه في الرحلة والكتابة وكذلك ما سمعه من التجار والبحارة المتنقلين بين العدوتين، ومن هذه مؤلفاتعبيد الله بن أحمد بن خرداذبه (ت 280 هـ/893 م) وأبو اسحاق إبراهيم الاصطخري (ت 346هـ/ 957م) ومحمد بن محمد الادريسي (493 - 560 هـ / 1100- 1165 م).

1. التعبيرعن القرب الجغرافي بين عدوتي الأندلسي الشرقية والمغرب الأوسط في مؤلفات الجغر افيين والرحالة المسلمين.

يجب الملاحظة بداية أن المقصود بالعدوتين في هذا الموضوع هو الساحل الأندلسي الشرقي وساحل بلاد المغرب الذي يمتد من طنجة الى مدينة تونس وماضمه هذا الحيز الجغرافي من مدن ساحلية ومراسي.

لقد وضف الجغرافيون والرحالة كلمة"العدوة" للتعبير عن قرب المسافة بين الضفتين، فالعدوة في اللغة هي شاطئ الوادي، أو شفير الوادي أو جانبه وحافتُه[2]،واستعملوا فعل يحاذيمن المحاذات والقرب الشديد ومنه حذوت النعل بالنعل حذوا إذا قُدِّرَ الأول على الثاني بوضعه على صاحبه، وكذلك تأتي بمعنى قعدتُ بِحذائِه أو حَذَوْتُهُ[3]يقول البكري ((وسنذكر اتّصال المراسي من نكور آخذا إلى الشرق وما يحاذيها من مراسي الأندلس إلى مرسى مليلة))[4].

ومن الكلمات الواردة عند ابن حوقل "الفرضة" فيقول أن وهران((فرضة الاندلس اليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال))[5]، وفرضة البحر هي محط السفن أو المرفأ الذي ترسو فيه[6]، وكلمة "التسامي"في وصفه لجزيرة ميورقة((جزيرة في البحر الزقاقي تسامتها من القبلة بجاية من بر العدوة، بينهما ثلاثة مجارٍ))[7]، ومن الكلمات المستعملة فعل"يقابل"لإظهار ارتبط النشاط البحري بين المراسي في الجانبين، يقول البكري عن مرسى الزيتون شرق جيجل((وهو جبل عظيم خارج في البحر يقابل

---

[2] - الهروي محمد بن أحمد بن الأزهري (المتوفى: 370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،2001م. ج3 ص70 ومحمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت 711هـ):لسان العرب، ط 3، دار صادر - بيروت 1414 هـ .ج15 ص40.

[3] - إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: 393هـ):الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين - بيروت1407 هـ - 1987 م. ج6 ص2310.

[4]- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ/ 1094م) : المسالك والممالك، ط 1 ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة مصر (د ت ط). ج 2 ص 754.

[5] - ابن حوقل محمد البغدادي الموصلي (توفي بعد 367هـ):صورة الأرض، (د.ت.ن) دار صادر، أفست ليدن، بيروت1938 م. ج1 ص 78 .

[6]- محمد بن أبي بكر الرازي (المتوفى: 666هـ): مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد ط5 ،المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420هـ/ 1999م. ص 237.

[7] - المعطار محمد بن عبد الله الحميري (المتوفى: 900هـ) :صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، تحقيق ليفي بروفنصال ، ط2، دار الجيل، بيروت - لبنان1408 هـ - 1988 م . ص 188.

جزيرة سردانية))[8] و من الكلمات الواردة الموازاة فيقول البكري أن مرسى قصر الفلوس، يوازيه من برّ الأندلس مرسى قرطاجنة[9].

يرتسم في أذهان الجغرافيين والرحالة القرب بين الساحلين في صورة عدوتي الواديوباقي الكلمات التي تم ذكرها ،فالانتقال بينهما في حس وإدراك البحارة والتجار نشاط بحري روتيني يومي يشبه حركة التنقل الحر بين بلدانتقع في حيز جغرافي طبيعي(التضاريس والمناخ) وبشري واقتصادي مشتركأو ما نطلق عليهفي عصرنا أسماءالمناطق التجارية الحرة أو الأسواق الاقتصادية المشتركة في عصرنا الحالي ،كماتعني هذه المفردات في كتابات الجغرافيين والرحالة التواصل الوثيق والكثيف في مختلف المجالات الحضارية.

2. أهم ما ذكره الجغر افيون منمدن عدوتيالمغرب الأوسط وما يحاذيها من مدن الساحل الشرقي الاندلسي.

نلاحظ هذا التوظيف عند الجغرافيين والرحالة على الأقل منذ القرن الرابع الهجري،في النصف الأول من القرن الرابع الهجري،يقول أبو اسحاق إبراهيم الاصطخري(346هـ/957م)عن تونس رغم بعدها النسبي عن الأندلس مقارنة بمدن المغرب الأوسط والأقصى((هي اوّل عدوة الاندلس يعبر منها ولا يعبر من دونها الا من المدن التي تلي المغرب لأنها اول مدينة تحاذى الاندلس))، يقصد من يحل بها من الشرق قاصدا الغرب[10]،وعن طبرقة يقول محمد بن حوقل((طبرقه قرية وهى عدوة لأهل الاندلس اليها ينتهون ومنها الى الاندلس يركبون))[11].

ينطلق البكريعادة في وصفه لفرضة المغرب الأوسط من الغرب نحو الشرق المغرب الأوسط باعتبار أن المدن والمراسي الغربية أقرب الى السواحل الشرقية الاندلسيةفيبدأ بمرسى ترنانة الصيفي فيجعله محاذيامن برّ الأندلس مرسى مرية بجانة، ومرسى مدينة أرشقول يقابله من بر الأندلس قابطة بني أسود وبينهما مجريان[12]، ومرسى الماء المدفون يقابله من برّ الأندلس مرسى الراهب وبينهما مجريان وثلث، ثم يليه مرسى جبل وهران ويقابله من برّ الأندلس مرسى أشكوبرشو بينهما مجريان ونصف وهو المرسى الذي نزل به البحريونوهم في الأصل جماعات من أصحاب السفنكانوا يسترزقون بتهريب النّاس بين العدوتين أيام الخلافة الأموية التي شددت الرقابةعلى السواحل الشرقيةللأندلس و النقل لبحري بين بلاد المغرب و الأندلس[13]،ثم استقر

[8] - البكري، المصدر السابق ، ج 2 ص 757.

[9]- نفس المصدر،ج2 ص 755.

[10]- الاصطخري إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي (المتوفى: 346هـ): المسالك والممالك، دار صادر، بيروت2004 م. ص 38.

[11] - ابن حوقل، المصدر السابق ، ج1 ص74.

[12]- البكري، المصدر السابق ، ج2 ص755.

[13]- يقول الحميري عن البحريين ((... فكانوا ينتجعون هناك البلاد وينتهزون الفرص في المراكب إذا أمكنتهم ويغزون سواحل الفرنجة، وغيرها، ثم أجمعوا على الانصراف إلى الأندلس واستيطان موضع منها، ثم نزلوا شرقي وادي أرش اليمن وهو خلاء قفر، فخرجوا هنالك ولاطفوا من بإزائه من العرب وهادوهم بتحف المشرق وطرائفه وأوسعوهم براً فأذنوا لهم في النزول فانتشروا على وادي أرش اليمن، وافترقوا في قراه على وجه التصنيف

البحريون ببجانة[14]،، إلى الشرق مرسى عين فرّوج أربعون ميلا شرق وهران يقابله من برّ الأندلس مرسى آقلة، القريب من مدينة لورقة وبينهما ثلاث مجاري، ثم الى الشرق دائما مرسى قصر الفلوس، يوازيه من برّ الأندلس مرسى قرطاجنة[15]، وتنس يقابلها من بر الأندلس مرسى شنتبول، بينما يجعلها الإدريسي تقابل مدينة دانيا فيقول ((وكذلك أيضا مدينة دانية يقابلها من العدوة الأخرى مدينة تنس وبينهما ثلاث مجار))[16]، ثم مرسى جزيرة وقور 20ميلا من تنس يقابل من بر الأندلس مرسى لقنت بينهما خمس مجار، و من مدن عدوة المغرب الأوسط مستغانم كانت حسب البكري على مقربة من البحر مسورة لم يذكر لها تواجد الاندلسي رغم ما كانت عليه من ازدهار اقتصادي بكثرة بساتينها وزراعة القطن و طواحينها المائية [17]، ثم مرسى شرشال يقابلها في ساحل الاندلس مرسى مريرة و بينهما خمس مجاري، ويلي شرشال جبل شنوة وله مرسى يسمّى البطّال غير مسكون، يقابل من عدوة الأندلس جبل قرون بينهما خمس مجار ونصف، ثمّ مرسى هور و لم يذكرالبكري ما يقابه في بشاطئ الأندلس، والى الشرق يذكر البكري مرسى جنابية وله جزيرة وهناك مدينة للأوّل غير مسكونة لها نهر يريق في البحر، ويقابل من برّ الأندلس مرسى دانية وبينهما ستّ مجار، ثم مرسى الجزائر مرساها مأمون شتوي ويقابل من برّ الأندلس مرسى بنشكلة بينهما ستّ مجار[18]، ثم مرسى الدجّاج وتقابله جزيرة ميورقة، ومرسى مدينة بجاية قديمة آهلة وعامرة بأهل الأندلس غير انه يقول انهخارج عن محاذاة جزيرة الأندلس بينما يجعلها الادريسي في القرن السابع الهجري/11م تقابل مدينة برشلونة[19].

لم يذكر البكري بعد بجاية مدنا ساحلية ومراسي استقر بها الأندلسيون أو كانت فرضة لمدن ومراسي أندلسيةإلا مرسى يحمل اسم أحد سكان البيرة يوحي أن الأندلسيين كانوا متواجدين فيه هذه المدن والمراسي ربما بأعداد قليلة ونشاطاقتصادي لا يضاهي مراسي ذكرت من قبل كتنس ووهرانوبجاية، أما مدينة بونة فيصفها البكري بالقرية البحرية وأكثر تجّارها أندلسيون[20].

والتجارة، وأظهروا أحسن المعاملة وأداء الطاعة، ثم كثروا وتلاحق بهم من كان تخلف عنهم واشتدت شوكتهم وعظمت على تلك الناحية مضرتهم، حتى تغلبوا على مدينة بجانة وطردوا عنها مشاهير عربها))الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله (المتوفى: 900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس،ط2، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت1980 م. ص: 80.

[14]- يقول البكري ((المرسى القديم الّذي نزله البحريّون قبل نزولهم بجّانة))البكري، المصدر السابق ، ج2 ص 755.

[15]- نفسه.

[16]- الادريسيمحمد بن محمد الحسني الطالبي(توفي: 560هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ط1 ، عالم الكتب، بيروت ، 1409 هـ ج 2 ص 552.

[17] - البكري، المصدر السابق، ج 2 ص737.

[18] - نفس المصدر ج2 ص ص 756، 757.

[19]- نفس المصدر ج2 ص 757. يقول الادريسي ((وكذلك أيضا مدينة دانية يقابلها من العدوة الأخرى مدينة تنس وبينهما ثلاث مجار وكذلك مدينة برشلونة تقابلها من عدوة الغرب الأوسط بجاية)). الادريسي ج 2 ص 552.

[20]- البكري، المصدر السابق، ج 2 ص ص 757، 758.

من المراسي التي تلفت الانتباه شرق تاسقدة (سكيكدة) مرسى يحمل أسم أندلسي يعرف ب"مرسى ابن الألبيري"[21] لم يقدم له البكري أي تعريف، ثمّ إلى مرسى الخروبة، ثمّ مرسى بونة، ثمّ مدينة مرسى الخرز[22] .

3. تشييد وتهيئة الأندلسيين مدنا وموانئ في عدوة المغرب الأوسط.

أعاد الأندلسيون تشييد مدنا ساحلية عديدة أولية قديمةبالمغرب الأوسط و إعادة تهيئة مراسيهاو ساهموا في بعث النشاط فيها في مختلف المجالات، و نذكر في هذا السياق من مدن المغرب الأوسط التي أعاد الاندلسيون بحارة و تجارا بعثها وتنشيط الحركة الاقتصادية فيهامدينة و مناء وهران،يقول المؤرخ ابن عذاري أن الاندلسيين استقروا بوهران وأعادوا بناء المدينة سنة 290هـ/902هو ذكر شخصية أندلسية تعرف باسم محمد بن أبي عون بن عبدون نزلالمدينة مع جماعة من الأندلسيين[23] ، و يضيف المؤرخ ابن خلدون أن منطقة وهران سكنتها بطون من قبيلة أزداجة فنزل مرسى المدينة رجال للدولة الأموية منهم محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون، فداخلوا أخلها من البربر وحكموا المدينة و مرساها باسم الأمويين سبع سنين، ثم استولى على المدينة في ذي الحجّة سنة 297هـ/909م قبائل البربر بتحريض من والي تهرت من قبل الفاطميين دواس بن صولات اللهيصي الكتامي في عهد عبيد الله المهدي، فاستبيحت المدينةوخربت، ثم جدّد بناءها وأعاد محمد بن أبي عون إلى ولايتها، فعادت أحسن ما كانت[24]، ويذكر البكري سنة 298هـ/910م تاريخ عودة سكانها بأمر الوالي أبي حميد دوّاس بن صولات ، فصارت أحسن ممّا كانت وولّي عليها محمّد بن أبي عون، ولم تزل في عمارة وكمال وحسن حال إلى أن خربها يعلى بن محمّد بن صالح اليفرني وحرّقها ثانية سنة 343هـ/954موبقيت كذلك سنين عديدة لم يحددها البكري، ثمّ رجع الناس إليها وبنيت من جديد[25]، و يفترض أن الأندلسيين عادوا الى المدينة لقربهم من فرضة الاندلس و ساهموا في تعميرها و تطوير نشاطها الاقتصادي.ومما يشير الى دور الاندلسيين في بناء مينائها أو على الأقل إعادة تهيئته قول ابن حوقل((وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كلّ ريح وما أظنّ له مثلا في جميعنواحي البربر سوى مرسى موسى فقد كنفته الجبال وله مدخل أمن وعليها سور))[26].

يقول البكري أن البحريّين من أهل الأندلس هم من شيد مدينة تنسبالتعاون مع سكانها البربر الذين رحبوا بقدومهم وألحوا عليهم بالبقاء، واستقر بها من الأندلسيين أهل منطقة ألبيرة وتدمير، ويشرح البكري ظروف هذا الاستقرارأن البحريين كانوا يشتون في مرسى تنسإذا سافروا نحو الشرق فرغبهم البربر في اتخاذ القلعة القريبة من المرسى مقدار ميل سوقا

---

[21] - البكري، المصدر السابق، ج 2 ص758.

[22] - نفسه.

24 - ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: (توفي: 808هـ):ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط 2، دار الفكر، بيروت 1408 هـ/ 1988 م.ج 6 ص 191.

[25]- البكري، المصدر السابق، ج 2 ص ص738 ،739 .

[26]- ابن حوقل ، المصدر السابق، ص ص 77 ،78.

والاستيطانفيها ومع شيوع أخبار والرفق وحسن المجاورة التي ظهر عليها البربر قدم القلعة والمرسى أندلسيون من البيرة وتدمير كما سبق ذكره[27].

لم تذكر المصادر مساهمة الاندلسيين في إعادة بناء مدينة الجزائر في عهد زيري بن مناد الذي أمر ابنه بلكين ببعث مدن الجزائر ومليانةوتيطريولا يستبعد استعانةالزيرين بالحرفيين الأندلسيين المعروفين بمهارتهم في مختلف الحرف رغم توتر العلاقات مع أمويي الأندلس، ويكتفي البكري بقوله عن جزائر بني مزغنة أنها ((مدينة جليلة قديمة البنيان ...لها أسواق ومسجد جامع. ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليه أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما))[28]، أمامرسى الدجّاج فقد سكنه الأندلسيونالى جانب قاطنيها من قبائل البربر، يذكر البكري قبائل كتامة رغم أنمرفئها غير المأمون[29].

كانت بجاية عامرة بالبربر والأندلسيين أيام الرحالة أبي عبيد البكري الذي عاصر عهد مؤسسها الناصر بن علنّاس فيصرح أن المدينة أولية بمعنى أنها قديمة عامرة بأهل الأندلس في القرن الخامس الهجري/11م قبل عزم الأمير الحمادي على اتخاذها حاضرة للدولة[30]وهذا ما تشير اليه بعض البحوث المعاصرة [31].

4. مساهمة الاندلسيين في النشاط الفلاحيبعدوة المغرب الأوسط.

في المجال الاقتصادي لا تفصل مصادر القرون الممتدة بين القرن الرابع والسابعالهجريين دور الاندلسيين في المجال الاقتصادي مثلما هو الحال في المصادر الحديثة حيث الصورة أوضح مع الهجرة الكثيفة للأندلسيين الاجبارية منذ القرن التاسع الهجري/15م ، لكن هناك إشارات توحي بوجود هذا التأثير في عدة مجالات منها تشييد المدن وتأهيل موانئها كما سبق ذكره ونقل خبراتهم في مختلف النشاطات الفلاحية والحرفيةوالتجاريةوتزويد أسواق بلاد المغرب الأوسط بمختلف المنتوجات.

إن تواجد الأرحاء المائية هي إحدى صور التأثير الأندلسي فمدينة وهران ذات المياه السائحة كانت تكثر فيها الأرحاء على المجاري المائية[32]، ومستغانم كانت ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، ويبذر في أرضها رغم جفاف المنطقة القطن بمردود

---

[27]- البكري المصدر السابق، ج2ص726.

[28] - نفس المصدر، ج2 ص 732.

[29]- نفس المصدر، ج2 ص 730.

[30] - نفس المصدر، ج2 ص 757.

[31]- محمد بن عميرة ، لطيفة بشاري: تاريخ بجاية في ظل مختلف الانظمة السياسية من عهد القرطاجيين الى عهد الاتراك العثمانيين،ط1،دار الفاروق الجزائر1436ه/2015م. ص ص 36– 40 و

Dominique Valérian: Les Andalous à Bougie (xie-xve siècle),MIGRATIONS ET DIASPORAS MÉDITERRANÉENNES (XE-XVIE SIÈCLES) | Michel Balard, Alain Ducellier, p. 313-330, vue le 18-02-2024.https://books.openedition.org/psorbonne/2243?lang=fr#:~:text=Les%20nombreux%20Andalous%20pr%C3%A9sents%20dans,rabbin%20venu%20d'Espagne65.

[32]- البكري المصدر السابق، ج2 ص 738.

غزير[33]، وصُنعت على وديان بجاية نواعيروشُيِّدت الأرحاء على المجاري المائية في تلمسان[34] و المتيجة[35]، و يكون للأندلسيين يد في تشييدها و هم أصحاب الخبرة في إقامتها، تسقي بساتينها[36]؛في عهد الوسيط المتأخر وبداية العصر الحديث مع توافد أعدد ضخمة من لأندلسيين أصحاب الخبرة في الفلاحة تتضح الصورة أكثر في زيادة مساحات بعض الثماروتطوير تقنيات الفلاحةكانتشار زراعة الكرز و الإجاص والتفاح و أدخلوا تقنيات جديدة في طرق تقليم الأشجار و تهيئة الأراضي الفلاحية و استصلاحها[37].

يقول الباحث محمد لمين بلغيث أن الخبرية الفلاحية الشامية جلبت الى الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل، كنُظُمُ الفلاحة وأساليبُ الري فأدخلت نباتات وأشجار مثمرة والنواعير بنوعيها ما يعمل فيها بفعل قوة الماء، وما تستعمل الدواب في تحريكه، ومن الأندلس انتقل استعمال هذه الأنماط من النواعير إلى المغرب[38].

كان الأمير الزيري المعتصم بن صمادح بألمرية شغوف بتشييد نظم الري وإقامة البساتين والمنتزهاتوجلب الثمار كالموز وقصب السكر وبناء القصور المتقنة ويكون ابنهأحمد معز الدولة بن أبو يحيى بن معن بن صمادح (سنة 483هـ/1091 م) قد نقل بعض هذه التقنيات بعد خروجه من ألمرية الى مدينة دلس بالمغرب الأوسط[39].

5. دورالأندلسيين في تنشيط التجارة البينية بين العدوتين.

شكلت ضفة بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة مع العدوة الأندلسية منطقة تجارية نشيطةفكانت البضائع المتنوعة الأندلسية التي تصل مصر والشام، والعراق، ومكةواليمنوغيرها منالبلدان[40]، بعضها يحمّلالى موانئ المغرب الأوسط،ومنها يصل الى المدن وبلدان جنوب الصحراء كغانا وبلاد السودان.

كان الأندلسيون يتجارون مع بطون نفزة وبني مُسقن من أزداجة، يقول ابن حوقل أن مناء وأسواق وهران ترد إليها السلع ومنها تحمل الغلال الى العدوة الاندلسية ويضيف أنفي حاضرتها دهقنة بمعنى كثرة المال وغنى وحذق، والحذق المهارة في ممارسة مختلف الأعمال، وهي من الصفات التي عرف بها الأندلسيون[41] ، و مستغانم كانت ذات عيون وبساتين وطواحين ماء،

---

[33] - نفس المصدر، ج 2 ص 737.

34 - الادريسي، المصدر السابق. ج1 ص 248 .

35 - البكري ، المصدر السابق ، ص 732 ، 744.

[36] - كاتب مراكشي (توفي: ق 6هـ):الاستبصار في عجائب الأمصار،(د.ت.ن) دار الشؤون الثقافية، بغداد1986 م. ج1 ص180.

[37]- ناصر الدين سعيدوني : دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإلبيريوالوجود الأندلسي بالجزائر 2، البصائر للنشر والتوزيع الجزائر 2013. ص 131.

[38]- محمد الأمين بلغيث: نظرات في تاريخ الغرب الاسلامي، ، دار الخلدونية الجزائر 1428هـ/2007م.ص 78.

[39] -العذري أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع لآثار ، والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك،تحقيق عبد العزيز الأهواني، (د رط) منشورات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد (د ت ن). ص 75

40 - إبن حوقل ، المصدر السابق ، ص109.

[41] - نفس المصدر ، ص78.

ويبذر في أرضها القطن وانتاجه غزير ، فرغم مغادرة البحريين تنس الى بجانة بالأندلس فإن المدينة بقيت تشهد الرخاء و الثروة مما جلب إليهم سكان الداخل، يذكر البكري هجرةأهل سوق إبراهيم في نحو أربعمائة عائلة أوبيت الى تنس، قال البكري ((فتوسّع لهم أهل تنس في منازلهم وشاركوهم في أموالهم))[42].

كان ميناء بجاية تحط فيه السفن من مختلف موانئ البحر الأبيض المتوسط،فتجلب إليه البضائع من مصر وأقصى الشرق يقول صاحب الاستبصار((وبجاية مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن، والهند، والصين، وغيرها، ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار، وجميع الخيرات)) ، وبونة فأكثر تجارها أندلسيون يساهمون في ازدهار التجارة وتزايد الأرباح، فمستخلص جباية بونة غير بيت المال حسب البكري عشرون ألف دينار[43] .

لا شك أن التواجد الأندلسي كان له أثر إيجابي على النشاط التجاري في أسواق الموانئ و أسواق المدن الداخلية لتوفر المقومات المساعدة أهم وفرة المنتوجات المواد الأولية النباتية والحيوانية والمعدنية وتنوع الإنتاج الفلاحي والحرفي في البلدين رغم أن كثير من هذه المواد متواجد في البلدين فإن ضرورات الحالات الاستثنائية الجوائح و الحروب يفتح مجالات واسعا لاستراد و التصدير بين الضفتين[44]، رغم أن مصادر القرن الرابع حتى الخامس الهجريين لا تفصل في نوعية البضائع التي كان يتم استيراد و تصديرها في موانئ المغرب الأوسط إلا القليل منها لكن من خلال معرفة أهم المنتوجات الأندلسية.

لقد عبَّرت المصادر الجغرافية بعبارات متنوعة تشير الى ضخامة المواد الفلاحية في البلدين في حلات الاستقرار و الأمن،و أهم هذه المواد القمح و الشعير و الحنطة و الخضر و الفواكه و اللحوم "و الأخشاب و يجمع الإدريسي غنى بلاد المغرب الأوسط بالمواد الفلاحية بقوله عن قلعة بني حماد أن فلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت حتى أن أهلها أبد الدهر شباع"[45]،ونفس الضخامة نلاحظها على الإنتاج الفلاحي الأندلسي حتى جعلت الإدريسي يقول عن حقول الغرب الاندلسي حتى لشبونة أن الكيل الواحد من الحنطة كان يعطي مائة كيل وربما زاد ونقص[46]. وعن منطقة لورقة يذكر الحميري ربما بشيء من المبالغة أن الحبة تتفرع من أصلها ثلاثمائة قصبة[47].

---

42 - البكري، المصدر السابق، ج2 ص 726.

43 - نفس المصدر، ج 2 ص 717.

44 - أنظر عن تنوع المواد الأولية النباتية والحيوانيةوالمعدنية .مراد تجنانت: الأز مات الاقتصادية في الغرب الإسلامي مظاهرها وآثارها أسبابها وطرق معالجتها في القرنين الخامس والسادس الهجريين (11 – 12م)رسالة الدكتوراه ، جامعة الجزائر- 2- أبو القاسم سعد اللهكلية العلوم الانسانية والاجتماعيةقسم التاريخ، السنة الجامعية:2015 - 2016. ص ص 33-45.

45 - الإدريسي، المصدر السابق ، ج1ص 261.

46 - نفس المصدر ، ج1 ص550 .

47 - الحميري ، المصدر السابق ، ص 513.

أما ثروات المعدنية فكانت هي كذلك متنوعة، كالحديد فيمجانة وبونة وغرب وهران[48]، والزفت والقطران ببجاية[49]والفضة بمجانة[50] ، والمرجان في مرسى الخرز وسبتة وتنس[51] ؛ ولا تقل المعادن بالأندلس من حديد ونحاس[52]، وزيبقورصاص[53]،ومعادن كثيرة عدَّ منها البكري البلّور والمغنطيس. والمغنيسيا وحجر الطلق، واللؤلؤ والمرجان من بحر الأندلس، وبحر البيرة من عمل ألمرية،والذهب بكميات معتبرة بالدرةوساحل الأشبونة،والفضّة في كورة تدمير وجبال حمّة بجّانة، وبإقليم كرتيش من عمل قرطبة، وبأكشونبة والقصدير والزئبق والكبريت الأحمر والتوتيا الذي يدخل في صناعة النحاس، والكحل بناحية طرطوشة[54].

كانت الحرف في مدن الأندلس تغطي حاجيات السكان، فمن الصناعات المعدنية صناعة المراسي بشلطيش قرب ولبة[55]، وأصناف من آلات النحاس والحديد في المرية[56]، وصناعة الفولاذ وآلات الحرب في إشبيلية[57]. و مختلف منتوجات الحديد في ملقة[58]،وكانت الصناعات الخشبية من أكثر النشاطات انتشارا وتفرعا، أهمها ما اختص بالفن المعماري كإنجاز أنواع المباني والجسور وغيرها من المنشآت الفنية، ، وشتى أنواع الحرف الخشبية المنتجة للأدوات و وسائل العمل كصناعة القصاع والأطباق[59]، والأسرة المرصعة بمرسية[60]، وعمت صناعة إنشاء السفن موانئ الأندلس، في قرية القصر قرب شلب غرب الأندلس و طرطوشة ودانيا في الشرق و ألمرية وملقة في الجنوب وموانئ أخرى متعددة[61].كما قامت مختلف حرف النسيج كالحياكة في جيان و بجنجالة

48 - الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصروالأندلس مأخوذ من كتاب نزهة في اختراق الآفاق،ط1، مطبعة بريل ليدن هولندا سنة 1863 .ص ص 84، 117.

49 - الإدريسي، المصدر السابق،ص 90 ، 91.

50 - إبن حوقل، المصدر السابق ، ص 84.

51 - نفس المصدر ، ص 76 والإدريسي، المصدر السابق ، ص 116 ، 168 .

52 - الإدريسي، نفس المصدر، 188.

53 - إبن حوقل 109 والبكري، المصدر السابق، ص 897 ،898.

54 - نفس المصدر ، ص897 ،898.

55 - الإدريسي ، المصدر السابق، ص 179.

56 - يبدو أنها زالت أيام الإدريسي بسبب غزو نصارى برشلونة للمدينة سنة 542ه/1147م. أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص 197 وابن الأثير، المصدر السابق، ج 8 ص ص 347 ، 348.

57 - المقري أحمد بن محمد التلمساني ، (ت1041ه/ 1631م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، ط 1 دار صادر بيروت لبنان 1408 ه / 1988 م .ص 202.

58 - العمري، المصدر السابق، ج 4 ص 234.

59 - منها حصن قيشاطة شرق جيان، نفس المصدر ، ص 203.

60 - المقري، المصدر السابق، ج 1 ص 201، 202.

61 - الإدريسي نفس المصدر، ص 181 ، 190 ،195 والعمري ، المصدر السابق، ص 233 ، 234.

شمال شاطبة [62] وألمرية[63]،و يُنسج في مدن أندلسية كثيرة أجود أنواع الثياب مثل بكيران غرب شاطبة[64]، و ألمرية، وغرناطة و بسطة شرقا .والبسط في تنتالة من أعمال مرسية[65]. وكانت لهذه المصنوعات سمعة في الأسواق يقصدها التجار من مختلف البلدان البعيدة[66]. كما تنتشر في هذه المدن مختلف مهن الجلد ودبغ الجلود[67]. والخزف في الأرياف والمدن[68].والزليج[69]والفخار المزجج والمذهب[70]، وفي قواعد عديدة في الهضاب تقام المطاحن[71]، مثل قفصة [72]،وأغمات[73]. وفي مختلف مناطق الأندلس كان منها ما ينقل على المراكب من موضع الى موضع في نواحيمرسية وسرقسطة[74].

رغم أن المصادر مصادر القرن الرابع حتى الخامس لا تفصل في نوعية البضائع التي كان ينقلها التجار بين العدوتين فإن كثافة النشاط التجاري واستقرار الاندلسيين بمدن المغرب الأوسط يجعل التجار ينقلون هذه المنتوجات الى موانئ المغرب الأوسط وجزء منها ينقل الى مختلف مدن البحر المتوسط .

الاستنتاج

62 - ازدهرت الصناعات الصوفية وصناعات لجلدية المصدرة الى مختلف الأقطار.أنظر الإدريسي، المصدر السابق، ص195.

63 - نفس المصدر ، ص 197 ،202 .

64 - نفس المصدر ، ص 192.

65 - المقري ، المصدر السابق، ج 1 ص 201.

66 - إبن حوقل ، المصدر السابق ، ص109.

67 -ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م): المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د. شوقي ضيف، ط 4 ، دار المعارف القاهرة جمهورية مصر العربية 1995 . ج2 ص 246 وابن فضل الله العُمَرِي أحمد بن يحيى القرشي العدوي ، (700- 749هـ/ 1349 م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس المجمع الثقافي، أبو ظبي ط1، 1423 هـ/ 2002م. ج 4 ص 234 وابن حوقل، المصدر السابق، ص109،72 والاستبصار، المصدر السابق، ص 157، 207 و7.وابن أبي زرع الفاسي أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 741 هـ/ 1340 م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار حمير ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة والوراقةالرباط المغرب1972م. ص 49.

68 - البكري، المصدر السابق ، ص 698 . إبن أبي زرع، ، المصدر السابق ،ص 48

69 - المقري ، المصدر السابق ، ج1 ص 202.

70 - تشتهر ملقة بصناعة الفخار المذهب والزجاج . إبن سعيد ،المصدر السابق، ج1 ص 424 والعمري ج 4 ص 234 والمقري ، المصدر السابق، ج1 ص 202.

71 - نفس المصدر، ج2 ص 833.

72 - الحميري ، المصدر السابق، ص 478.

73 - الإدريسي، المصدر السابق، ص 66.

74 - نفس المصدر ، ص 194.

كان القرب الجغرافي بين عدوتي المغرب الأوسط والاندلس عاملا أساسيا في توثيق عرى الاندماج الحضاري في مختلف المجالات الاجتماعية والعلميةوالفكريةوالثقافية، لقد وضف الجغرافيون والرحالة كلمة "العدوة" للتعبير عن قرب المسافة بين الضفتين

تؤكد المصادر أن الأندلسيين أعادوا بناء بعض المدن واستقروا فيها ولا شك أن تجربتهم في مختلف الحرف والمهنوالنشاط الفلاحي قد استفاد منها سكان المحليون في المدن وفحوصها

شكلت ضفة بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة مع العدوة الأندلسية منطقة تجارية نشيطة أشبه بالمناطق التجارية الحرة في وقتنا الحاضر.

قائمة المصادرو المراجع

1. ابن أبي زرع الفاسي أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 741 هـ/ 1340 م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار حمير ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة والوراقةالرباط المغرب1972م.
2. ابن حوقل محمد البغدادي الموصلي (توفي بعد 367هـ):صورة الأرض، (د.ت.ن) دار صادر، أفست ليدن، بيروت1938 م.
3. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: (توفي: 808هـ):ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، ط 2، دار الفكر، بيروت 1408 هـ/ 1988 م.
4. ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م): المغرب في حلى المغرب ، تحقيق د. شوقي ضيف، ط 4 ، دار المعارف القاهرة جمهورية مصر العربية 1995 .
5. ابن فضل الله العُمَرِي أحمد بن يحيى القرشي العدوي ، (700- 749هـ/ 1349 م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس المجمع الثقافي، أبو ظبي ط1، 1423 هـ/ 2002م.
6. ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت 711هـ):لسان العرب، ط 3، دار صادر - بيروت 1414 هـ .
7. الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصروالأندلس مأخوذ من كتاب نزهة في اختراق الآفاق،ط1، مطبعة بريل ليدن هولندا سنة 1863 .
8. الادريسيمحمد بن محمد الحسني الطالبي(توفي: 560هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ط1 ، عالم الكتب، بيروت ، 1409 هـ .
9. الاصطخري إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي (المتوفى: 346هـ): المسالك والممالك، دار صادر، بيروت2004 م.
10. البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ/ 1094م) : المسالك والممالك، ط 1 ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة مصر (د ت ط).
11. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله (المتوفى: 900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس،ط2، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت1980 م.

12. الحميري محمد بن عبد الله (المتوفى: 900هـ) :صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار تحقيق إ ليفي بروفنصال ، ط2، دار الجيل، بيروت - لبنان1408 هـ - 1988 م .
13. الرازي محمد بن أبي بكر (المتوفى: 666هـ): مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد ط5 ،المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420هـ / 1999م.
14. العذري أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي:نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع لآثار ، والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك،تحقيق عبد العزيز الأهواني، (د رط) منشورات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد (د ت ن).
15. الفارابي إسماعيل بن حماد (المتوفى: 393هـ):الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين - بيروت1407 هـ - 1987 م.
16. كاتب مراكشي (توفي: ق 6هـ):الاستبصار في عجائب الأمصار،(د.ت.ن) دار الشؤون الثقافية، بغداد1986 م.
17. المقري أحمد بن محمد التلمساني ، (ت1041هـ/ 1631م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، ط 1 دار صادر بيروت لبنان 1408 هـ / 1988 م .
18. الهروي محمد بن أحمد بن الأزهري (المتوفى: 370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،2001م.

المراجع العربية

1. بلغيث محمد الأمين: نظرات في تاريخ الغرب الاسلامي، ، دار الخلدونية الجزائر 1428هـ/2007م.
2. بن عميرة محمد ، لطيفة بشاري: تاريخ بجاية في ظل مختلف الانظمة السياسية من عهد القرطاجيين الى عهد الاتراك العثمانيين،ط1، دار الفاروق الجزائر1436هـ/2015م.
3. تجنانت مراد: الأز مات الاقتصادية في الغرب الإسلامي مظاهرها وآثارها أسبابها وطرق معالجتها في القرنين الخامس والسادس الهجريين (11 – 12م)رسالة الدكتوراه ، جامعة الجزائر-أبو القاسم سعد الله كلية العلوم الانسانية والاجتماعيةقسم التاريخ، السنة الجامعية:2015 - 2016.
4. سعيدون ناصر الدين : دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإبياري والوجود الأندلسي بالجزائر 2، البصائر للنشر والتوزيع الجزائر 2013.

المراجع الأجنبية

1. Dominique Valérian: Les Andalous à Bougie (XIe XVe siècle),MIGRATIONS ET DIASPORAS MÉDITERRANÉENNES (XE-XVIE SIÈCLES) | Michel Balard, Alain Ducellier, p. 313-330, vue le 18-02-2024.https://books.openedition.org/psorbonne/2243?lang=fr#:~:text=Les%20nombreux%20Andalous%20pr%C3%A9sents%20dans,rabbin%20venu%20d'Espagne65.
2. Dominique Valérian: La diaspora andalouse et le commerce des ports maghrébins (XIeXVe siècle) TheAndalusia Diaspora and the Trade in the Maghreb Ports (11th-15th centuries) La diáspora andaluza y el comercio en los puertos magrebíes, vue le 18-02-2024.https://doi.org/10.4000/framespa.2939.